روايات عبير الجديدة

جان بيير فرنير

الهاربة



روايات عبير الجديدة

الهاربة

أحياناً تزيد ضربات القدر من عزيمة الانسان، وتحدّيه في مواجهة الحياة.

[illegible]ن برغم صغر سنّها، لم تستطع المصاعب ان تقهرها. فبعد موت والديها وقفت وحيدة تصارع رياح الفقر، لم تهرب... لم تنكسر... ظلّت نبتة عنيدة مغروزة في أرض أجدادها، برغم محاولات دين مورناي لاذلالها واضعافها والاستيلاء على مزرعتها المرهونة لديه.

صراع بين رجل وامرأة من أجل تحقيق الذات... كيف ينتهي؟ هل ينتهي الى الضوء كما هو اللقاء بين السالب والموجب؟



مرت السحابة امام القمر فخيم الظلام الدامس قليلاً قبل ان يعود ضوء القمر الشاحب فيكشف عن وجود فتاة تسير بسرعة، آتية عبر الغابة . وما ان وصلت الى ضفة الجدول حتى توقفت قليلاً، ثم لم تلبث ان عادت الى ركضها . وسقطت فجأة على الارض ، ولكنها لم تهتم للدماء التي سالت من يديها ورجليها فنهضت لتعاود ركضها . كان الخوف بادياً بوضوح على

اسبوع من الزواج حزمت حقائبها وذهبت بعيداً الى بريستول لتبحث عن عمل في متحف الطفولة.

وبعد ذلك تلقت ضربة ثانية عندما ماتت جدتها فجأة، واصبحت مطروحة تحت رحمة أقربائها وهي ما زالت صغيرة السن، وتركت لها جدتها ميراث وأيضاً رسالة مختومة بالشمع الأحمر بطريقة قديمة الطراز.

عندما وصلت الرسالة الى رومي، رأت في عيني زوجة عمها وابنة عمها نظرة فضول وحب استطلاع.

- حسناً افتحيها. قالت ابريس الشقراء الجميلة ببدلتها الداكنة مع باقة من الفرو وأضافت.

- لقد كنت وجدتي متقاربتين وشاركتم بعضكم الأسرار، وربما تذكرت لك نصيحة تنصحك فيها بكيفية التقاط الرجال.

اضطربت رومي كثيراً لفقدان جدتها وبحرص شديد فتحت الرسالة وقرأتها في صمت.

- كل واحد منا... كتبت الجدة.

منذ مدة كنت تحلمين بأن تزوري مكان بعيد، اذهبي وابتعدي لفترة. رومي لا تنظري خلفك، أو تعتقدي بأن الميراث الذي تركته لك سوف يحميك من الأيام، اذهبي ولاحقي قوس قزح أيتها الفتاة، اذهبي ولكن الرغبة والشجاعة رفيقاك وحبي أيضاً.

- حسناً ماذا كتبت المرأة العجوز في رسالتها، قالت ابريس.

- تقول لي بأن أذهب بعيداً في رحلة خارج الحدود.

- وهل ستفعلين؟

ابتسمت ابريس لزوجها لانس وكانت في الحقيقة تتمنى أن تبعد لانس عن رومي.

- باريس رائعة في الربيع، وأيضاً البندقية، من ناحيتي أنا ولانس فاننا نفضل البندقية وكل تلك الأماكن الرائعة، وربما ستجدين صديقة لك لتذهب معك.

- اعتقد بأنني سأذهب وحدي.

حدقت رومي في الرسالة ولم تشعر أبداً بتأكدها من الذي تريده وأضافت.

- سأذهب إلى حيث ارغب الذهاب، وسأنفق كل فلس تركته لي جدتي سأشتري بعض الملابس الجميلة ومع الراحة سأجد المرح.

- كل هذا لوحدك.

- نعم كل ذلك لوحدي.

مكسيكو سيتي كانت دائماً رائعة فوق أي انتقاد. لقد زارت عدة متاحف ولاعبت الأطفال المكسيكيين ذو البشرة الذهبية. والآن ها هي ذاهبة بالقطار الى اكزريكا حيث ستبقى اسبوعاً، وبعدها رحلة الى فيرا كروز لتأخذ السفينة الى انكلترا.

وفي هذا الغروب بدت الشمس ككرة من ذهب وهي تغطس في البحر حتى تختفي كلياً.

قرعت أجراس القطار تعلن للمسافرين بأن الوجبة ستكون حاضرة بعد دقائق، ستكون هناك مصاريف ايضافية اذا اخذت وجبات غالية الثمن، ولكن رومي كانت حريصة في مصاريفها، نساء قلائل يبدو انهم يسافرون وحدهم والرجال يأخذون نظرة مظلمة وخطرة عنهم نهضت رومي من مقعدها ومشطت شعرها الأشقر الذي يبدو منسدلاً على كتفيها، ثم عقدته في ربطة وحلت الى أسفل رقبتها، لم تكن رومي فتاة خارقة الجمال.

كانت فتاة تملك الجرأة، الرقة والعذوبة ولكنها تأذت قليلاً، عندما عرفت بأن لانس كان يتلاعب بعواطفها، لم تستطع رومي أن تتمتع بالمناخ في المكسيك وتعرف تاريخ شعبها ذو اللون الأسمر الساحر والقرى الجميلة المحاطة بالكنائس الذهبية المبنية على أيدي الفاتحين الأسبان.

كانت رومي سعيدة بأنها انفقت ميراث جدتها بهذه الطريقة، كانت عطلة لا تنتسى ابداً. أشياء عدة ستضيء الأمسيات الوحيدة عندما ترجع الى حياتها.

بالشرطة هاتفياً من هناك ، ام تنتظرين حتى نصل الى ونستون ؟

– هل نحن بعيدون عن ونستون ؟

– ستون كيلومتراً .

وأدار السائق محرك السيارة ثم انطلق بها ، في حين قالت الفتاة بصوت خافت :

– انني آسفة ... لما بدر مني !

– لا تهتمي بهذا يا آنستي !

وساد الصمت ، فلم يعد يسمع الا صوت الرعد وغمغمة قطرات المطر فوق السيارة . وتطلعت آن الى مساحات الزجاج ثم قالت فجأة وكأنها تحدث نفسها :

– لقد اجتزت هذه الطريق في الاتجاه المعاكس منذ اربع وعشرين ساعة . يبدو لي ان هذا قد حدث منذ اجيال .

ولم ينبس الرجل بكلمة . كان يعرف انها لا تنتظر جواباً أو انها قد نسيت وجوده ، وانها تحاول تبديد حزنها بالكلام .

– في تلك الليلة رآني جوليان . كانت هذه علامة ، وكان علي ان افهمها وان اهرب ... ولكنني تأخرت ... ان الموت يرافقني أنى حللت وارتحلت ...

وقال الرجل بلهجة ساخرة وهو يشير بيده اليها :

– صه ... سوف تخافين !

– انك لا تصدقني ؟

– ولماذا يحاولون قتلك ؟

– كان من الافضل ان تقول لي لماذا لم اتركهم يفعلون ! كان هذا يكون افضل !

– هل تريدين ان تموتي ؟

– انني لا اريد ان احيا ! انه الشيء نفسه .

– ولكنك ما زلت ...

– شابة ؟ هذا صحيح . ولكن هل في هذا ما يضمن السعادة ؟

واشرقت الفتاة بدمعها ثم اردفت تقول :

– لقد مات الرجل الذي كنت احبه . لقد قتلوه .

– هل هو جوليان الذي تحدثت عنه ؟

وأحنت رأسها بيأس قبل ان تقول :

– لقد مات جوليان ايضاً ، وكنت احبه . هل تفهم ؟ لقد حيل إلي مرتين أني سأكون سعيدة ، وان لي ملء الحق في ان اكون كذلك . . . وفي المرتين . .

وسكتت دون ان تتم كلامها ، محاولة ان تتمالك نفسها حتى لا تعود للبكاء.

وسارت السيارة بها قليلاً ، وقد ساد الصمت ، ثم قالت آن :

– سأروي لك كل شيء . . . يجب ان يفهم احد هذا ،

وان يفسر لي هذه الحوادث قبل ان اصاب بالجنون .

واحنت رأسها كأنها تستعيد احداث حياتها وتصل حبل ذكرياتها ، في حين كانت الامطار تطرق زجاج السيارة الامامي بقوة .





لقد تعرفت الى جوليان عن طريق فالي . كنت ادرس الصيدلة ، و كنت تلميذة نجيبة مجتهدة. وقد سكنت عند صديقة قديمة لعائلتي . كنت ادفع لها ايجاراً قليلاً عن الغرفة التي اعطتني اياها في شارع نوتردام ، مقابل ان تنتبه العجوز الي وترقب اعمالي . كنت لا اخرج الا نادراً . مرة في الاسبوع الى السينما واحياناً الى المسرح . وذات مساء دعاني احد زملاء الدراسة

لرافقته الى حفلة صغيرة عنـد بعض اصدقائه من الرسامين والنحاتين وقبلت دعوته المهذبة لانه كان شاباً رصيناً ، وكنت احس بالسرور لذلك .

وارتديت ملابسي الجديدة ؛ ولكن السهرة لم تكن كما خيل إلي . كان مكانها منزلاً صغيراً ذا سقف منخفض يملأ الدخان الحجرتين اللتين يتألف منها . وكان المدعوون حوالي ثلاثـين شخصاً يجلسون على الكراسي وعلى الارض ، يكثرون الشراب ويتحدثون بصوت عال . ولم يلبث الشاب الذي دعاني ان تركني وحدي بعـد ان مكثت الى جانبه صامتة لا انبس بكلمة . واحسست بالتعاسة وانا بثيابي الجديدة وسط هؤلاء الشباب والشابات الذين يلبسون ملابس بسيطة ، فانزويت في ركن بعيد لاجلس على كرسي خال هناك ، وعندها سمعت من يقول :

ــ يظهر انها ... ام المؤلف !

ورفعت رأسي لأرى امامي فتاة تتطلع الي باسمة . كان وجهها خالياً من المساحيق ، جميلاً في بساطته ، فتناولت كأساً من يدها ، فسارعت للقول :

ــ انني فالي ... وانت ؟

ــ آن ... آن لافوري . انني سعيدة بمعرفتك .

ولا بد ان هذا قـد اضحكها ، ولكنني سارعت للقول بأنني لا اعرف احداً . وجلست فالي على الارض بجانبي واخذت تشير باصبعها الى المدعوين واحداً واحداً :

ــ هذا فريديريك جازويل ... مؤلف سخيف . وهـذا

مورينو والمرأه البدينة زوجته ، امـا ذات الشعر الاحمر التي تقف الى جانبه فإنها عشيقته .

وهكذا تابعت حديثها دون تكلف . ولفت نظري بين الحضور شاب صغير السن رأيته يتطلع إلي بامعان ، فتصاعدت الحمرة الى وجهي . ولاحظت فالي ذلك ، فقالت :

انه جوليان تريفو ... رسام .

كان جوليان طويلاً نحيـلاً ذا عينين رماديتين زرقاوين وشعر أسود حالك . ورأيت على شفتيه طيف ابتسامة .

كنت احس انني اريد ان اهرب من نظراتـه وفي الوقت نفسه كنت اتمنى ان يزداد اهتمامه بي .

وسألت رفيقتي :

ــ هل تعرفيه ؟

واشارت برأسها ان نعم ، فقلت بشجاعة السكران :

ــ هل تريدين ان تقدميه لي ؟

وقالت فالي تناديه :

ــ جوليان !..

واقترب الشاب النحيل بخطى مترددة ، واخرج علبـة لفائفه ، قال :

ــ هل تدخنين ؟

ولم اكن قد دخنت لفافة في حياتي ، ولكنني مـع ذلك تناولت واحدة فأشعلها لي ، فقد كنت لا اريد ان اظهر بمظهر

الساذجة ، ولكن ما حدث بعد ذلك اظهر انني كنت مخطئة في حسابي

– انها المرة الاولى ؟ أليس كذلك ؟

وتجاهلت سؤاله فقلت :

– المرة الاولى ؟ ماذا ؟

– الدخان !..

وضحكت قبل ان يسخر مني ، وقلت :

– اجل ... وهذه هي المرة الاولى التي آتي فيها الى مثل هذا المكان !

– هل تشعرين بالسلوى ؟

– انني لا استطيع التحديد بعد .

– لا تتحدثي هكذا كالممثلة !

وبدا عليه انه قد تضايق مني ، فازدردت لعابي وانا اقول بصعوبة :

– فلنقل انني بدأت احس بالسرور بعد ان تحدثت الي .

وارتسمت ضحكة ناعمة على شفتيه ، كانت مكافأة لي على صراحتي ، فنهض ووضع يده على كتفي بحركة طبيعية ، ثم قال :

– تعالي من هنا !

واجتزنا الصالة ثم توقف امام لوحة غامضة وقال :

– هل تعجبك ؟

– هل هي من رسمك ؟

– هل تعجبك ؟

وخفت ان يغضب مني ، ولكنني كنت اشعر انه سيسامحني اذا قلت ما افكر به ... لم تكن افكاري واضحة ذلك انني لم اكن استطيع التفكير في غير يده الموضوعة برفق على كتفي العاري وبالحرارة التي اجتاحتني والتي جعلتني لا اعي شيئاً . وبذلت مجهوداً كبيراً لكي اركز انتباهي وترددت قبل ان اقول له :

بكل صراحة ... انني لا افهم منها شيئاً ... ولكن تمازج الالوان حلو رائع . انها تعطي انطباعاً عن الحركة او شيئاً من هذا القبيل . هل نجحت في الامتحان ؟

– بتفوق ... هل نذهب ؟

وتمالكت نفسي لكي لا اسأله الى اين . كنت اعرف ان هناك امكنة كثيرة يمكن ان نذهب اليها . واحنيت رأسي علامة القبول ، فأخذني من يدي الى مكان يبعد حوالي نصف كيلومتر عن مكان الحفلة ، وهناك صعدنا سلماً مظلماً ... كنت اسير متكئة عليه ، وانا اشعر ببعض الخوف . ولكنني كنت دائماً احلم بأنني سوف اصعد ذات يوم سلماً مظلماً أستند فيه الى رجل يحتويني بذراعيه .

وفي الطابق الخامس دخلنا الى الغرفة التي يتخذها مسكناً له ومرسماً . ولمحت فوق الارض العارية قميصاً في حين كان جوليان يضيء الغرفة . وانحنيت لأتناول القميص ، ولكن جوليان قال بلهجة قاسية :

- دعيه ! انني لم آت بك الى هنا لكي ترتبي غرفتي !

لم يكن في الغرفة غير سرير واحد وبعض الكراسي وبعض اللوحات وسمعت صوته يقول :

- تعالي الى جانبي .

كان يجلس فوق السرير وقد فتح ازرار قميصه . واقتربت منه ببطء ، فأمسك بي وضمني اليه ، ثم أحسست بيده تنتزع ثيابي قطعة قطعة ، والقشعريرة تسري في جسدي البكر ...

وقلت له وانا ارتجف :

- انني ...

وهمس في اذني :

- اصمتي !

وسكت لأترك نفسي بين يديه يفعل بي مـا يشاء . لا ، لا أشعر بالخجل ، كنت احبه ، وكنت سعيدة بحبي له . وسمعته يقول لي :

- غداً في الساعة السادسة ... هنا ... ولكن لا تتصلي بي هاتفياً ابداً .

وعدت ادراجي وانا اغني والسعادة مـلء احضاني ... واستقبلتني صديقة العائلة بصمت معبر وانا اعود في الثالثة صباحاً .

وذهبت الى جوليان في اليوم التالي ، ثم في اليوم الذي تلاه ، وهكذا اصبحت اراه كل يوم . كنت متأكدة من ان فـالي عشيقته ، وقد حدثتها عن هذا ذات يوم ، فقالت :

- اجل ، هذا صحيح ، فهل يضايقك هذا ؟ انه منذ زمن طويل ...

- اوه كلا ! ان الغيرة لا تناسبني .

- انك فتاة ذكية ، ولهذا احبك .

واكتشفت مع جوليان مقاهي الحي اللاتيني . وطردتني صديقة العائلة لسلوكي الشائن ، فذهبت فرحة الى جوليان الذي اكتفى بالقول :

- ستقيمين منذ الآن مع فالي .

وتمالكت نفسي لكي لا تنفجر دموعي ... واقمت عنـد فالي . وانتابني شعور لم اكن اعرف انـه موجود في عالمنا : الغيرة .

وفي ذات يوم اتصلت بـه ، وكنت اعرف أنه مع فالي ، فقال بجفاف :

- انني اعمل الآن ... سوف اتصل بك عندما انتهي.

كنت اعرف انه يخدعني ، وكنت اعرف ان فنه يأخذ ما تبقى من وقته الذي يمضيه مع غريمتي . كنت لا اجرؤ عـلى سؤاله : اين كنت ؟ ومع من ؟ وهل تفكر بي ؟ وهـل انت سعيد بدوني ؟ كان جوليان قاسياً في حبه ، انانياً في تصرفاته .

وحاولت فالي ان تصلح الامور ولكنها لم تفلح . وفي ذات يوم صرخت به قائلة :

- لقـد انتظرتك ساعات ، وانقطعت عن الدراسة من اجلك فهل تقدر هذا ؟

وقال جوليان دون ان يتطلع الي :

– اذا كنت تحسين بالتعاسة لعلاقتك بي ، فمن الافضل ان نفترق ...

وتوسلت اليه لن ينسى ما قلته ، ووعدته بأن لا اعود الى هذا ابداً . ولكنني لم أف بوعدي . وهل كنت استطيع ذلك؟ وهكذا انتهى الامر به ذات يوم الى القول :

– انني ذاهب الى هولندا ، وكنت اعتزم اخذك معي ، ولكنني سأذهب وحيداً ... انك غبية ... لن تريني بعد الآن . وداعاً .

وخرج مطبقاً الباب بشدة ، ولبثت ساكنة عدة ثوان قبل ان ادرك ما حدث ، ثم اسرعت الى النافذة اناديه :

– ارجوك يا جوليان ... عد ...

وكان قد وصل الى الرصيف المقابل ، فكررت رجائي ، ولمحت ابتسامة راضية على شفتيه ، ثم رأيته يهز كتفيه ، ويعود

ريق . ولكنه لم ينتبه الى سيارة كانت

عندئذ ، واختلط تحذيري له بصوت صرير

الفصل الثالث

لم اكن انا نفسي ... وعادة يضيف الناس الذين يقولون هذه الجملة شيئاً آخر . ولكنني انا لم اكن شيئاً آخر ... بل لم اكن شيئاً ابداً . كنت اعوم في عالم غريب ، لا اشعر فيه بأي شيء . لقد فقدت احساسي بالحياة ونصح الاطباء فالي بأخذي الى مكان هادىء دافىء . واخذتني فالي الى قرية نائية على الشاطىء . كنت اجلس باستمرار على كرسي طويل في الوضع

نفسه باستمرار احدق في لا شيء . ولم اعرف كيف كانت الايام والشهور تمضي : وفي ذات يوم تناهى الى سمعي صوت اولاد يلعبون عند الشاطىء ، ولكنني لم اكن استطيع رؤيتهم من مكاني . وسمعت صوت فتاة صغيرة تصرخ قائلة :

— عد يا جوليان ... عد !

وأحسست بصدمة عنيفة ، فنهضت الى النافذة وصرخت بأعلى صوتي :

جوليان !.. جوليان !.. عد !

كان طفلاً صغيراً ، رأيته يبكي وقد غمرت المياه ركبتيه . واسرعت اليه وامسكت به من يده وعدت به الى الشاطىء وانا افاجأ بوجود البحر امامي . واسرعت الى حيث كنت وصرخت :

— ماذا نفعل هنا ؟ اين جوليان ؟

وفي اللحظة ذاتها عادت الحوادث الى ذاكرتي ، ورأيت خالتي امامي والدموع في عينيها . وتطلعت الي ثم قالت بفرح :

— لقد شفيت يا آن ! لقد شفيت ! .

كان من الصعب علي ان اصدق موت جوليان ... وعندما ادركت انني لن اراه بعد الآن أحسست بحزن قاتل ... ولكن ما زاد في حزني هو انني بدأت انساه . وعدنا الى باريس وبحثت عن عمل وجدته في احدى المكتبات . وهناك تعرفت الى بعض الزبائن ، وكان بعضهم يغازلني بتأدب ولكنني كنت مصممة على ألا اقبل دعوة اي واحد منهم .

كانت سونيا ، زميلتي في العمل تسخر مني وتقول :

— الحبيب يا عزيزتي كالماسة ، لا يظهر بريقها كما يجب الا في الليل .

وفي ذات يوم قالت لي :

— ايتها اللعينة ، لقد ضبطتك !

— ماذا تعنين ؟

— لا تتصنعي الدهشة ! ألست على علاقة بذلك الطالب الشاب الذي يأتي الى هنا احياناً ؟

— انا ؟ لا بد انك تمزحين ! أي شاب ؟

— في مقتبل العمر ، اسود الشعر والعينين وسيم الوجه ، متوسط الطول ...

وفي هذه اللحظة ، دخل شاب تنطبق عليه تقريباً الاوصاف التي عددتها سونيا ، واردفت زميلتي تقول :

— وهو خجول كهذا ! ولكنني اؤكد لك انه يستطيع بوسامته ان يفرض على اية بائعة ان تلبي طلباته !

واقتربت من الشاب تسأله سؤالها المعهود :

— هل ترغب في شيء معين ايها السيد ؟

— لا ادري بعد ، انني اتأمل الجديد من الكتب

وعادت سونيا نحوي وقالت :

— لقد جاء دورك الآن .

وأحسست بالرغبة في التسلية ، فاقتربت منه اسأله بدوري ، فقال وقد بدا الاحمرار في وجهه :

- مسرحيات مرغريت ده نافار !

فقلت ، وانا اشير بيدي :

- انها وراءك تماماً .

وتطلع الي ثم قال شارحاً :

- انني اعد اجازة في الادب الفرنسي ...

- لا شك ان برنامجك حافل اذن ..

- اجل : فيلون فلوبير ، مرغريت ده نافار ، كلوديل ... هل يعجبك هذا المزيج ؟

وبدت عليه السعادة عندما ضحكت .

وعاد في اليوم التـــالي ، ثم في اليوم الذي تلاه ... وزاد تردده على المكتبة ولكنـــه لم يكن يمكث طويلاً ، ولم يكن يتحدث الا بكلمات قليلة حول دراسته . ويئست سونيـا منه وقالت لي ذات يوم :

- لا بد ان جاك هذا غبي تماماً ...

ومرت الايام ، ورأيت نفسي انتظر قدومه بقلق ، واشعر بالوحشة اذا تأخر او غاب . وكان هذا يدل على انني قد بدأت اتعلق به . وعلمت بعد مدة انه يسكن في المدينة الجامعية وان والده يدير معملاً صغيراً للمطاط .

كان يحدثني باختصار ، الا في بعض المواضيع التي تهمه ، وعندها كان يتحمس ويتحدث باندفاع .

ولم افاجأ بعد مدة عندما عرض علي ان نذهب الى السينما ، بعد ان عرف انني مغرمة بأفلام ماكس افيلوس . وهكذا صرت اخرج معه مرتين او ثلاثاً في الاسبوع .

وفي ذلك الوقت لم اكن قد احببته بعد ، ولكنني كنت ارغب في ذلك .



لم اعد اذكر من جوليان غير الكيفية التي مات بها ، ولم اعد اخشى الا الحب. لقد تعلقت بجاك ولكنني لم اكن اعتقد ان في الحق في الحب ولهذا اخذت اصارع نفسي . ولا بد ان جاك قد ادرك عقدتي هذه فلم يحاول ان يغير طبيعة علاقتي به ، ولو حاول ذلك لكففت عن لقائه .

كنا نخرج احياناً في سيارته الصغيرة ونجلس في احدى الحدائق . وفي ذات يوم رأينا شاباً

هناك يتناول سندويشاً برفقة فتاة ذات شعر احمر ، وقد حيا جاك ، فرد هذا الاخير على تحيته وهو يقول لي :

– انه رفيقي في الدراسة ، واسمه رافايل .

ودعانا رافايل الى حفلة راقصة يقيمها احد اصدقائه . وفي مدى نصف ساعة كنا هناك. مكان مظلم ، وشبان وفتيات متخاصرون كل يجذب اليه رفيقاً او رفيقة له . وكان جاك يحسن الرقص ، واحسست بالنشوة وانا احس بخده ثم بشفتيه فوق خدي ، وذراعيه تطوقاني . وتنقلت شفتاه رويداً رويداً فوق خدي حتى كادتا ان تلامسا شفتي ، وفي هذه اللحظة تدخل رافايل يقول :

– لكل دوره يا صديقي ...

وحاولت ان اتخلص من قبضة يده وقال جاك :

– دعها يا رافايل ...

وحدثت مشادة كلامية قصيرة ، ثم وجه جاك الى رافايل لكمة ألقت به الى الارض ، فنهض واندفع نحو جاك . وما ان عم النور الغرفة حتى رأيت جاك ، والدماء تنزف من وجهه مطبقاً على عنق رافايل . وصاحت احدى الفتيات :

– ابعدوهما ... سوف يقتله .

واخذت جاك بعيداً وبللت منديلي بالماء وجلست الى جانبه ، امسح دمائه قائلة :

– لا تتحرك !

ولكنه لم يطع ، فلف يده حول خصري وجذبني اليه ثم قبلني ، واحسست بشفتيه فوق شفتي .

ولم يكن من الصعب على فالي ان تلاحظ التغيير الذي حدث لي . وفي ذات يوم رن جرس الشقة وفتحت فالي الباب فقال جاك :

– لا بد انك فالي ... لقد حدثتني آن عنك كثيراً .

– اما هي فلم تحدثني عنك ابداً . هل تريد ان تأخذ كأساً ؟

– هل هي دعوة ؟

وخرجت مع جاك ، وكانت هي المرة الاولى الذي يأتي فيها الى المنزل الذي اقيم فيه . وفي طريقنا ، قال :

– عيد البربارة بعد حوالي عشرة أيام ، فاذا كنت حرة ، فانني اكون سعيداً لو ذهبت معي لرؤية عائلتي .

– الا تقطن عائلتك في باريس ؟

– اوه ! كلا . ان والدي مريض وهو يقيم في منزلنا الريفي .

وعندما عدت ، قالت فالي ، وقد اخبرتها :

– يجب ان تفهمي يا آن ذهابك معه لرؤية عائلته ، يعني شيئاً مهماً لديه .

– لست غبية يا صديقتي . فعندما يقدم الشاب فتاة لوالديه فان معنى هذا انه يريد الزواج منها .

وطلبت اليها ان تكشف لي البخت بواسطة اوراق اللعب المتناثرة امامها ، وطلبت مني اغلاق عيني وسحبت بناء على امرها ورقتين ، تطلعت اليهما صامتة ، فقلت :

– قولي اذن ! ما هو جواب القدر ؟

وكشفت فالي الورقتين لتريني اياهما ، كنت اريد ان اعرف حظي ؛ ورأيت ورقتين سوداوين . اكثر سواداً من شعر ساشا، ولاشد سواداً من عيني بيير !



كان يبدو على جاك انه لا يهتم الا بالقيادة ، في حين كنت اتطلع امامي . وفجأة قال :

– لقد ذهبت الى مورانج حوالي عشر مرات.

وتابع القيادة ، في حين تطلعت انا اليه ، وخيل الي انه لا يزال ذلك الطفل الغرير الخجول الذي رأيته في المكتبة للمرة الاولى . واحسست لذلك بحبي له يكبر . لم يكن يبدو عليه انه يريدني ان اتكلم فسكت . كانت

اسئلة كثيرة تثور في خاطري : كيف عائلته ؟ وممّ تتألف ؟ وكيف سيلاقيني افرادها ؟ بعداوة ام بصداقة ؟ وأفقت من اسئلتي على صوته يقول لي اننا اخطأنا الطريق . وعدنا قليلاً ثم اعلن اننا عدنا الى الطريق الصحيح . وبعد قليل قال :

– انني جائع ، وانت ؟

– وانا كذلك !

ونزلنا في فونتان براي ، وهي قرية صغيرة ، فسألته ونحن نهم بالجلوس في احد المطاعم الصغيرة :

– هل اخبرت والديك بوصولنا ؟

– طبعاً .

– هل انت واثقاً من انهما لن يشعرا بالضيق ؟

– لماذا تفكرين هكذا ؟ ان والدي مريض ، ولا شك ان زوجته ، خالتي ، تعتني به جيداً ...

– وامك ؟

– ماتت عند ولادتي . ولكن اطمئني ؛ فان ماريون تحبنا كثيراً ... اخوتي وانا . انا اصغر اخوتي ، وبعدي يأتي ساشا ، عازف بيانو غريب الاطوار قليلاً ، واذا رأيناه هناك ، فانه سيغازلك دون شك . واكبرنا بيير ، متوحش قليلاً ، وهو يعيش في مورانج طوال العام . انه يكره المدينة ، كما تكره ماريون الريف ... انه لن يقترب منك ... اننا مختلفين ، نحن الثلاثة .

– وكيف علاقاتكم ؟

– ليس هناك اية نقاط مشتركة بيننا ، فبيير يقطع الاخشاب ،

وساشا يعزف على البيانو ، امـــا انا فأقدم الامتحانات . واذا اردت الحق ، فانني الشخص المعقول الوحيد بين هذه المجموعة ... وهناك على كل حال خادم عجوز اعرفهـــا منذ ان احسست بالدنيا . أما زلت مصرة على ان تذهبي معي الى هذا الجحيم ؟

ـ اكثر من اي وقت مضى .

ـ كما تريدين ، ولكنني حذرتك .

وتناولنا طعامنا ثم تابعنا السير وسط غابة ، اخذت الطريق فيها تضيق شيئاً فشيئاً في حين كانت الاشجار تزداد ضخامـة وكبراً . وبدا على جاك انه يستعجل الوصول الى هناك ، واخيراً لاح البيت عن بعد ، جميلاً حلواً وقع في نفسي موقعـاً حسناً . كانت الخادم امام الباب ، وقد استدارت على صوت السيارة ، في حين قال جاك بصوت حنون :

لقد وصلنا الى البيت .

وفتحت نافذة في الطابق العلوي ، ثم اغلقت من جديد .

وحيت العجوز جاك والدموع في عينيها ، ثم اقبلت علي تحييني بحرارة ، فقال جاك :

ـ اننا نكاد نموت من العطش يا سفرين ، فهـل لديك ماء منعشاً ؟

وذهبت العجوز ، في حين قال لي جاك :

ـ سأضع السيارة خلف المنزل ، فادخلي ، وتصرفي كما لو كنت في بيتك . لقد قالت سفرين ان الجميع يغطون في النـوم .

وتوقفت لحظة قبل ان ادخل ، ثم خشيت ان يراني احد

في موقفي الغبي هذا ، فعملت بنصيحة جاك وانا احمـل حقيبتي بيدي . وما ان دخلت حتى وقفت اتأمل اثاث المنزل ، وبدا لي ان لكل فرد في البيت زاوية خاصة به ، وقد بدا المكان على الرغم من قدمه جميلاً . وفجأة لمحت شاباً يقفز الى جانبي قائلاً :

ـ اطمئني ! ان غرفتك فوق غرفتي ، وسوف آتي عند اقل اشارة منك . أرجو ألا تكوني متعبة ؟ حسناً ! لا تخـافي يا روحي الصغيرة ... اريد ان اقدم لك مفاجأة على ان تداعبي شفتي بشفتيك ...

واقترب منها محاولاً تقبيلها ، ولكنها ابتعدت عنه ضاحكة وقد عرفت انه ساشا ، ولما رآها كذلك قال :

ـ يا لها من تعيسة ! انها تضحك ... ان الفتاة التي تضحك تكون نصف مجنونـة ... ولكن لا بأس ! لا تبكي . انني اسامحك ! هل نتعانق ؟ لا بد انك كنت اكثر حناناً في باريس . سوف تتعرفين الى غرفة الاحـلام ... وغرفة الحب ... غرفتي انا ، غرفة الامل !

ودخل جاك في هذه اللحظة فتابع ساشا كلامه :

ـ اني اقدم لك جاك ... انـه رائع ، وانا واثق من انه سيعجبك ، اقدم لك يا جاك الآنسة ، ام اولادي .

ودخلت سفرين وابعدت ساشا عني وهي تناولني قدحاً من الماء المنعش ، وخرجت بعد ان اجبرتني باستدعائها عندمـا احتاج اليها ، وبدا عليها انها قد اعجبت بي ... وفجأة صعد جاك الى الطابق الثاني وهو يقول :

— ساري ما اذا كان كل شيء جاهز .

كان ساشا يعزف على البيانو وهو يقول:

— هل تحبين شوبان ؟

— هل تظن انني غبية؟ انه راخمانينوف .

— يا الهي ! انها تتكلم ... وهي ليست كما تخيلت ...

وانتقل بعد ذلك الى عزف فالس كنت اعرف كلماته، وكان يعزف بمهارة واردت ان اقنعه بأني لست كما يتصور ، فأخذت اردد بصوت هامس مع اللحن كلمات الاغنية :

« انك تهبين جسدك
ولكنك تبقين روحك
والرجال يهلكون
ليقدموا لك الكنوز. »

وانتبهت فجأة الى ان هناك من يراقبني ، فتطلعت الى المرآة الموضوعة على الجدار فوق المدفأة .

الفصل السادس

جميلة وخطرة . . . لم اجد سوى هاتين الكلمتين لأصف تلك المرأة التي كانت تتطلع الي. اما جمالها فكان واضحاً ، وقد احسست ان الخطر ينبعث منها . كانت تستند الى الحائط ويداها متشابكتين ، اما عينيها فلم يكن اي تعبير بادياً فيهما . واحترت كيف اتخلص من الموقف ، ثم تصنعت الخطأ في الغناء ، فتوقف ساشا عن العزف ، ثم قال :

– اهذه انت يا ماريون ؟ لقد اخفت الطفلة .

– أرجو ألا يكون الامر كذلك .

واقتربت مني وهي تقول :

– اهلا وسهلا ... هل اخذك احد الى غرفتك ...

واحسست بالخجل فجأة ، وتدخل ساشا وقال :

– لقد اخذ جاك حقيبتها الى الغرفة .

وقالت المرأة :

– هل تريدين رؤيتها الآن ؟

ودون ان اجيب سرت امامها ، ولم اشعر إلا بيدها تمتد لتمسك كتفي بحركة طبيعية لطيفة ، ودلتني على غرفة جاك وغرفتي وبينهما غرفة السيد باردوسيه ، والد جاك .

كنت واثقة من ان ساشا رغم مرحه الظاهري حزين في اعماق نفسه ، وقد سبق لي ان شاهدت شاباً مثله عند فالي ... اما ماريون فقد اصبحت في نظري امرأة محاطة بالأسرار، وقد عللت هذا بأنها بانت لي كذلك لأنها تعنى برجل لم اره .

وسمعت صوتاً قرب النافذة ، ففتحت النافذة ورأيت سفرين تلاحق هراً ، ثم اشارت إلي مبتسمة ، وبدا لي انها الوحيدة التي استقبلتني بترحاب صادق ، وقالت :

– هل يعجبك المكان ؟

واكدت لها ان كل شيء على ما يرام ، فقالت :

– لقد هيأت لكم أرزاً لطعام العشاء انه طعام جاك المفضل ، وانت ؟

– وانا ايضاً .

وسمعنا صوت نباح كلب ، فقالت سفرين :

– انه كابورال ، كلب السيد بيير ، شقيق جاك الذي لم تره بعد .

كان يبدو انها تعرف كل شيء . واخذت افكر في هذه العائلة ، ثم لم ألبث ان ابدلت ثيابي ، ونزلت . وما كدت اصل الى اسفل الدرج حتى قفز إلي بسرعة كلب ضخم ،أمسك بطرف ثوبي فمزقه .

– كابورال ! تعال هنا !

كان الصوت عميقاً ،وأطاع الكلب الرجل الذي كان يرتدي ملابس خاصة لركوب الخيل، وقال دون أن يتطلع الي، مداعباً كلبه :

– مساء الخير !

وفي هذه اللحظة دخلت ماريون ، فحالت بيني وبين الاعتذار . وتنبهت ماريون الى تمزيق ثوبي ، فاخذتني الى غرفة لاصلاحه ، وهي تقول بثقة :

– الكلب ، أليس كذلك ؟

وجاء جاك وساشا على الضجة و كنت ابتعد مع ماريون ، حين قال ساشا :

– انني احسدك على حظك يا جاك ...

ولم اسمع بقية كلامه ، وانا ادخل الى غرفتي ثم تبعتني

ماريون ومعها علبة فيها خيوط وابر وما يلزم للخياطة البسيطة واصلح الثوب بسرعة ، ووقعت العلبة من يدها ، فقالت : يا لي من غبية !!

وكانت كل هذه الحركات تقربني منها وساعدتها فقالت :

– حدثيني عن باريس ... ان الشهر الذي قضيته هنا يبدو دهراً كاملاً . هل ذهبت الى مسرح بوش ؟ هل شاهدت فيلم بريسون الاخير ؟

واجبتها على اسئلتها ثم قلت لها :

-- اذا كنت تحبين باريس ، فلم لا تعودين معنا يوم الاثنين ؟

وتمتمت ماريون بصوت خافت جعلني اقترب منها لأستطيع التقاط كلماتها :

– يجب ان اذهب ... يجب ان افعل ذلك ...

– ان باستطاعة بيير وساشا ان يسهرا على صحة زوجك..

لقد اعتقدت انها خطرة لانها كانت جميلة انيقة ، وتخيلت انها تعيش حياة سرية غامضة لانني لم اكن ارى زوجها ، ثم للامبالاة التي تظهرها .

ترى ، هل هي امرأة حزينة تحب الوحدة ؟

ويظهر ان ماريون اعجبت بالفكرة التي عرضتها لها ، فقالت .

– انني لا استطيع ان اترك السيد باردوسيه .

وتساءلت عن السبب الذي دعاها لأن تقول السيد

باردوسيه » بدلاً من « زوجي » ، واحسست انها لطيفة وقد أفضت إلي ببعض ما يشجيها :

– ان اولاده يريدونني هنا . انهم قساة . واشدهم قسوة هو ذلك الذي يبدو اكثرهم براءة .

كنت اعرف عمن تتكلم ... كنت اعرف ان المرح الذي يبديه ساشا يخفي طبيعة انانية لا تشفق .

– انا واثقة من ان جاك سيفهمك ، فهل تريدين ان احدثه

وقست نظرات ماريون وهي تقول

– انني لم اطلب مساعدة احد !..

ولم افهم السبب الذى اغضبها ، وزاد غموضها فى نظري

الفصل السابع

كان ساشا الوحيد الذي يتحدث . كان جاك صامتاً كعادته ونحن نتناول طعام العشاء ، مكتفياً بالابتسام لنكات اخيه ، فركزت نظراتي على بيير وماريون .

كنت اجلس بين بيير وساشا . ولم ينبس بيير ببنت شفة ، ملقياً بين الحين والحين بلقمة الى كلبه . والتقت نظراتي مراراً بنظرات ماريون ولكنها كانت تتهرب من عيني

كل مرة .

كنت قد شربت كأسي الاولى وهممت بافراغ الثانية حين لاحظت ان بيير يرقبني ، وخيل إلي انه يسخر مني . وعاد تفكيري الى ساشا فجأة ، ولا ادري لماذا خيل الي ان ماريون عشيقته : زوج مريض وشاب جميل .

ولمحت جاك سعيداً وقرأت الحب في عينيه . وفجأة نهض ساشا واتجه الى البيانو وقال لي :

— هل تعرفين : «الفالسات الثلاثة » ؟ هل تريدين تمثيل الدور معي ؟

وأطعته مبتدئة بلهجة متكلفة :

« — تبدو عليك الدهشة ...

— كلا انني سعيد ... لقد رأيتك بشكل آخر ...

— اصمت يجب ألا تقول هذا ...

— لماذا ؟

— لانك تسامح مراراً اذا نجحت ولا تسامح اذا كنت سعيداً .

— انك تقولين الحقيقة بقسوة

— وماذا تريد : انني ممثلة . »

واخذت اغني بسعادة وانا مسرورة لان ساشا كان يحفظ الدور الذي احببته منذ نعومة اظفاري . وعندما عدت الى المائدة كان بيير قد انصرف ، في حين قال جاك :

— آن لنا ان نذهب للنوم ... أليس كذلك ؟

وتبعته صامتة وعندما وصلنا الى غرفتي قال :
– انني سعيد لأنك تعجبين بأخي !..
وحاولت ان اتجاهل غيرته فقلت :
– بيير ؟
– لا تتجاهلي الامر ! انك تعرفين من اقصد .
– ساشا ؟ انني اجده رائعاً .
– هذا ما بدا لي .
وأحسست بالرغبة في ان يأخذني بين ذراعيه وان يقبلني ، فقلت :
– انت الذي وضعتني بين اناس لا اعرفهم ...
– انني سعيد لأنك اعجبت بهم . تصبحين بخير .
لا تذهب يا جاك ، ارجوك ! ابتسم لي ارجوك !
– تصبح بخير ...
كان هذا كل ما استطعت ان اقوله ، ودخلت دون ان اضيء نور غرفتي ، وفوجئت بصوت ساشا يقول :
– انني سعيد لأنك تجدينني رائعاً .
– اخرج ! ماذا تفعل هنا ؟
– يا لها من جميلة ؟ لكم كانت لهجتها حلوة !
– اعتقد انني اسرفت بالشراب .
– وانا الذي احضرت لك ايضاً زجاجة من الويسكي لنشربها.
– قلت لك اخرج يا ساشا ... انني اعرف أساليبك ...
انك على استعداد للقيام بأي شيء لكي تقول نكتة حلوة ، بل

انك على استعداد لقتل كل من حولك من اجل هذه النكتة.
ودوّت طلقة ، فقال ساشا :
– لا تخافي ... انه بيير ... وسوف تسمعين غيرها ..
وبالفعل دوّت طلقة اخرى ، فقلت :
– ولكنني لست خائفة ...
– آه ، عفواً ... لقد نسيت انك فتاة كبيرة تعرفين الحياة كما يجب .
– يجب ان تفهم يا ساشا ان مزاحك يزعجني ... وان جمالك لا يعجب احداً . وثق ان رحيلك لن يترك وراءه اي ندم او اسى في نفسي .
كنت سعيدة من تأثري وسررت لما قلته لها كأنني انتقم من جاك على ساشا . وحاول ساشا ان يتكلم ولكنني لم اترك له الفرصة فقلت :
– اسكت ! انني اعرف كل ما ستقوله : انني اعجبك ، واننا من النوع نفسه ، وان الحياة ليست ازلية ، وان قبلة لن تربطني بشيء ، وان من الافضل ان اشرب معك نخب الصداقة.
وصب لي ساشا كأساً قدمها الي فأفرغتها جرعة واحدة ، وفي هذه اللحظة دوت طلقة اخرى ، وتصورت بيير سائراً في الغابة ، والى جانبه كلبه . لكن لماذا لا ينام ؟ ولماذا لم يكن جاك يجلس الآن مكان ساشا ، يتطلع الي بحب ورغبة .
هل شربت كأساً اخرى ؟ انني لا ادري . ولكنني كنت جالسة على حافة السرير ، وساشا امام قدمي ، فوق السجادة .

ـ بما انك تكلمت منذ هنيهة بالنيابة عني ، فدعني الآن التحدث بالنيابة عنك . من هو ساشا ؟ ألم احكم عليه بسرعة ؟ هل صحيح انــه ثرثار ؟ انه لا يريد إلا من يقولُ له « اضحكنا، سلينا ! »

ووضع ساشا رأسه على ركبتي وهو يتابع حديثه، واحسست بقلبي يدق بسرعة؛ كنت اعرف ان عليّ ان ابعده عني ولكنني لم اجــد في نفسي الشجاعة للقيام بذلــك . وتابع ساشا حديثه قائلاً :

ـ وهو يحاول اللعب بالكلام ، ولا يريد ان يكون صريحا او عميقاً . اتراه يسخر من الحب ؟ انه بلا قلب ، واذا سكت فسوف نتركه !.. هل صحيح انك ستتركيني يا آن اذا سكت عن الكلام .

ورفع ساشا رأسه الي ، ولم اقاوم نظراته ، ثم رأيت شفتيه تقتربان ... وانتابني احساس بالهزيمة فاستسلمت .



كان جوليان يغيب وسط المدينة الغارقة في الضباب ... كان يتوغــــل في الشوارع المظلمة دون ان ارجو عودته ... كان يركض بسرعة وكأن أقدامــه لا تمس الأرض وكنت اركض وراءه دون ان اتمكن من اللحاق بــه ، وفجأة دوّت طلقتان خرّ على اثرهما جوليان في الجدول . رأيتــه يسقط ، ولكنني لم أر جسده . وتوقفت الى جانبي سيارة نزلت منها

العجوز سفرين ثم قالت :

– انا التي اطلقت النار ؛ لقد كان علي ان افعـــل هذا ، اصعدي !

ورفضت واندفعت راكضة . ولكي اهرب منهـــا ألقيت بنفسي في هوة رأيتهـــا فجأة امامي ، واحسست بنفسي اهوي واسقط دون ان اصل الى القعر ، وغبت عن الوعي .

وفتحت عيني لأجد نفسي مبللة بالعرق، ولم أع اين انا فوراً، ولكن الذكريات لم تلبث ان عادت إلي رويداً رويداً . وبحثت عن ساشا ولكنني لم اجده . لماذا اصبحت عشيقته ؟ انني لا احبه ، وهو لا يحبني . وشعرت بتعاسة فظيعة ، وانخرطت في بكاء لا ارادي لم استطع منعه . كيف ألاقي جاك بعد الآن ؟ كيف يمكن ان اعترف له بهذا ؟ يجب ان اعترف له !..وساشا، ماذا تراه يقول عني ؟

ودفنت وجهي في راحتي كأني انجو بنفسي . اجل يجب ان اهرب قبل ان افقد عقلي... ورتبت حقيبتي ووضعت فيهـــا ملابسي وعندما هممت باطباقهـــا فكرت في صعوبة عودتي عبر الغابة بمفردي ، وقلت ان جاك يستطيع اذا اراد ذلك ان يعود الي فهو يعرف عنواني في باريس . ولكن كيف اهرب ؟ لا ، يجب ان ابقى، وان اكذب عليه !

وتناهت الى سمعي اصوات زقزقة العصافير ، فتوجهت الى النافذة واحسست لذلك ببعض الهدوء . وتركت غرفتي معتزمة القيام بنزهة وسرت في ظلام الغابـــة . ولم اكن قد خطوت الا

قليلاً حين رايت على بعد اقل من مئتي متر جسداً مسجى على الارض ، وعندما اقتربت منه عرفت فيه جسد ماريون ، ورأيت الدماء تغطي وجهها ، فأخذت اركض في اتجـــاه المنزل وانا اصرخ ... ثم سقطت على وجهي .

واستعدت وعيي وانا بين ذراعي جاك . وعلمت منه ان ماريون قد ماتت ، فبكيت . ولكن جاك قال :

– اهدئي يا حبيبتي ! لقد انتهى كل شيء .

والى جانبي كان بيير وساشا وسفرين ، فقلت بعد جهد:

– يجب اعلام الشرطة .

وهز بيير كتفيه ثم قال :

– هل فكرت بوالدنا .

وقال ساشا :

– بالفضيحة ؟

وقال جاك :

– ولكن لا تنسوا ان في الامر جريمة !

ولم يجب احد منا ، في حـــين تطلعت سفرين الي بخبث ، فارتعشت لنظرتها ؛ وقال جاك بعد قليل :

– ماذا قررتم ؟

وقال بيير :

– لا شيء حتى الآن ..

وقلت :

– لا شيء ؟.. ولكن يجب ان يثأر لماريون . ليس لكم الحق في ...

وقاطعني بيير بقوله :

ـ اصمتي !.. هذه القصة لا تعنيك .

ـ ولكنني رأيتها ... رأيتها ...

وقال جاك بحنان :

ـ تعالي ... فلنعد يا عزيزتي .

وعدت معه . لم افهم موقف بيير ولا ساشا . وهرعت الكلاب لملاقاتنا ، فقلت لجاك :

ـ يجب ألا نتركها هكذا !

ـ هدئي روعك ... انني اعرف ما يمكن ان نفعله .

واتجه جاك الى الهاتف ، وما ان ادار قرص الجهاز حتى دخل بيير غاضباً وقال :

ـ اترك هذا ...

وتابع جاك ما كان يفعله ، دون ان يرد على اخيه ، في حين كرر بيير كلامه دون ان يستمع جاك اليه ؛ وكنت انا احاول التدخل بينهما ، ولكن ساشا ابعدني بقوله :

ـ لا تتدخلي فيما لا يعنيك !

وحاول بيير انتزاع سماعة الهاتف من يد جاك . ولكن هذا الاخير قاومه فما كان من بيير إلا ان ألقم أخاه جاك لكمة في وجهه ألقت به بعيداً ، وانتزع بيير الشريط بعنف ثم رماه الى اخيه ، قال :

ـ الآن ، لن ترتكب اية حماقة .

وخرج مطبقاً الباب بشدة .

الفصل التاسع

ساعدت جاك على النهوض بعد ذهاب بيير وساشا ، فابتسم لي ، ثم قال مطمئناً :

ـ لا بد ان بيير قد جن . لماذا رفض إخبار الشرطة ؟ لا بد ان لديه سبباً وجيهاً لذلك .

ونهض ماسحاً رقبته ، وجلس ثم جذبني اليه بلطف وقال :

ـ لكم انت شاحبة يا آن ! انك لم تتناولي بعد طعاماً هذا الصباح كما اعتقد . سأنادي

سفرين .

ووضعت سفرين الاطباق وهي تتجنب التطلع الي ، فادركت انها تكرهني . وذهب جاك يبدل ثيابه ، فقلت لسفرين :

ـ ماذا فعلت يا سفرين لكي تكرهيني ؟.

ـ من الافضل ألا تفهمي شيئاً !

واستدارت نحوي ؛ لم افهم سبب تغيرها ، اللهم الا اذا كانت قد رأت ساشا في غرفتي .

واحسست عندئذ ان الشخص الوحيد الذي انست اليه قد مات . وقال جاك مؤنباً عندما عاد :

ـ لم تأكلي شيئاً .

ـ انني لا استطيع ...

وقال بحنان :

ـ قليلاً من اجلي ...

ورفضت بهزة من رأسي ، فقد كنت لا اقوى على الكلام ، الا انفجرت الدموع من عيني . ترى لماذا اختار جاك هذه اللحظة ليكون حنوناً ؟ وأخذ يدي بين يديه :

ـ انني اشعر بالذنب . لم يكن علي ان آتي بك الى هنا .

ولم اعد استطيع الصبر ، فقلت :

ـ اصغ إلي ...

وعزمت على ان اعترف له بكل شيء ، ولكنه قاطعني قائلاً :

ـ اسكتي يا آن ... انك مضطربة ... يجب ان تستريحي

قليلاً . سوف نعود الى باريس إذا اردت ...

وكنت جباناً ، فلم اقل شيئاً . واخذني جاك الى غرفتي . واستلقيت على الفراش ؛ فعادت لذاكرتي صورة ماريون غارقة في بركة دمائها ، وبدأت تتراقص امامي . ترى من قتلها ؟! أهو عاشق كان يلاحقها ، أم متشرد عابر ؟

وغابت صورة ماريون لتعود صورة جوليان . واحسست بالخطر . أتراني في طريقي للجنون . لقد مات جوليان منذ سنة . وشعرت ان هناك علاقة سرية بين مقتل جوليان ، ومقتل ماريون .

أترى وجودي مبعثاً للتعاسة ؟ هل لي تأثير فاجع على من يحيط بي ؟

وكان هذا مضحكاً . لقد كانت فالي وسونيا وجاك بحالة جيدة . لقد كنت انا سبب موت جوليان ، ولكن ليس لي اي علاقة بمقتل ماريون . اتراني دفعت القاتل للعمل دون ان ادرك ذلك ؟

وعاد الي اضطرابي ، ولكنني أحسست بالرغبة في المقاومة وفي اثبات براءتي بايجاد القاتل . وخيل لي انني انتصرت ، فقد وجدت طريقة احارب بها نفسي

واقتربت من النافذة فوجدت سفرين في الحديقة تعنى بأزهارها كعادتها . وسألت نفسي: « هل كانت تحب القتيل ؟» « هل كانت تكرهها ، ولماذا ؟ »

ورأيتها تضع بعض الحبوب التي قالت عنها انها تبعد

الحشرات عن الازهار ، وتذكرت انني رأيت شيئاً منها قرب جثة ماريون . لا شك انها اذن قد مرت من هناك قبلي ، وخيل الي انني اكتشفت شيئاً خطيراً وناديتها دون تردد وسألتها ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة وعادت الى عملها دون ان ترد علي . أتراها قتلت ماريون ؟ كلا ... ولكنها تعرف القاتل دون شك.

أين انت يا جاك ؟ يجب ان أراك في الحال . ودرت في انحاء المنزل ولكنني لم أجد أحداً فخرجت . كانت سفرين قد اختفت . وأحسست بالاضطراب والخوف ، وسرت عبر اشجار الحديقة ثم بدأت اجتاز الغابة القريبة . وعلى حين غرة رأيت شبحاً يمر الى جانبي فتبعته .

كان الرجل يسير بسرعة هائلة مبعداً الاغصان بيديه فيختفي من آن لآخر عن ناظري . وركضت وانا أتعرف الى مكان وجوده من وقع خطواته فوق الأعشاب اليابسة المتكسرة.

وفجأة خيل لي انني أعيش وهماً ، فالرجل الذي كنت اتبعه كان جوليان . جوليان الذي مات منذ سنة . وصرخت ثم سقطت غائبة عن الوعي .

واستيقظت على صوت يقول لي :

– هل الاغماء عادة عندك ؟

وفتحت عيني ورأيت نفسي جالسة على جذع شجرة ، في حين كان بيير يقف أمامي ويداه في جيبيه . وبدا لي قوياً . وقال بيير :

– ماذا حدث ؟

وخجلت من خوفي ، واخذت اهذي :

– هناك ... انه ... لقد كان المنزل فارغاً موحشاً ... واعتقد ... لقد ظننت انكم قد تخليتم عني جميعاً .

– انني لا افهم جيداً . لقد فقدتِ رشدك وأنت تركضين ورائي . انك تعرّفين انك كنت خاطئة في لحاقك بي لانني لم أكن الشخص الذي ظننتيه .

ولم اكن استطيع ان احدثه عن جوليان فقد خفت ان يسخر مني ، واكتفيت بالقول .

– انني لا اتذكر شيئاً .

وهز كتفيه دون حماس وعرض علي ان يرافقني . ولم اشعر بالراحة لذلك . كنت افضل لو سألني عما اذا كنت قد عدت الى وعيي تماماً وعما اذا كنت استطيع السير . ولذلك فقد اجبته بتحدٍ وانا انهض :

– انني استطيع العودة بمفردي

وادار لي ظهره ، وصفر لكلبه .

– بيير !

وتوقف ثم التفت إلي مستديراً :

– لماذا لا تخبر الشرطة ؟

– لقد قلت لك ان هذا ...

– لا يعنيني ... انني اعرف هذا . ولكنك تعرف انني لا استطيع السكوت .

– لا يهمني كثيراً ما تفكرين به ...

– ولكنني استطيع ان اخبر الشرطة عندما أعود !

– صحيح ... اذا عدت !..

– هل تريد ان تجعلني سجينة هنا ؟

– يا لها من كلمة كبيرة . قد اطلب منك فقط ان تبقي عدة ايام اخرى .

– ولكن جاك سيعارضك .

– سيفعل ما أقوله له ، مثله مثل ساشا .

واحسست بالصدمة لتأكيداته ، فأردت ان افاجئه او ادهشه ، فقلت :

– لقد قضيت الليل مع ساشا !.

ولم يبد عليه انه سمع ما قلته ، واكتفى بالقول :

– هل تظنين انك تدهشيني بما تقولين ؟

ولم اعرف لماذا اعترفت له بما حدث . لقد كنت مضطربة ولكن في غاية الغباء . واردت ان ادافع عن نفسي :

– ولكن هذا لم يكن خطأي .

– ان قصصك الصغيرة هذه لا فائدة منها يا آنستي .

وخيل إلي انني ألمح بريقاً في عينيه . لقد كان مسروراً . لكأنه كان يتوقع مني ان اتصرف كما فعلت ، واثبت له اعترافي انه على حق . ونسيت انني قد اعطيته ، باعترافي ، الحق في ان يحكم علي ، عندما اخترته لأفضي إليه بسري ، وثارت نفسي فقلت :

– من تظن نفسك ؟ بأي حق تقرر الخير والشر ؟ عندما

يريد المرء ان يرى اخطاء غيره ، فيجب ان يكون انساناً خيراً ، وانت بعيد كل البعد عن ان تكون كذلك . انك تظن نفسك قوياً ، وصدقني انه كان عليك ان تبذل مجهوداً قوياً لكي تستطيع ان تقول ما قلته .

وقال بيير وهو يندفع الى الغابة :

– انني لا اتلقى نصائح من فتاة تذهب مع اول من يأتيها ، وتنام في فراش اول من يدعوها .

وأحسست انه قد اصابني في الصميم ، وترنحت كأنني انوء تحت عبء ثقيل :

– اصغ إلي يا بيير !

واندفعت وراءه . كان يسير بسرعة ، وركضت الى ان اقتربت منه ، وعندما تعلقت بذراعه اضطر ان يتوقف:

– ارجو ان تسامحني يا بيير ، فانني لم اكن اعني ما قلته . حاول ان تفهمني ، وضع نفسك في مكاني .

كان لا يزال يتطلع الى الامام بعناد دون ان يعيرني أي اهتمام . أتراه يسمعني ؟ وأردفت قائلة :

– لم اكن مستعدة لما ينتظرني هنا . انك لا تستطيع ان تلومني لاضطرابي بعد موت ماريون ؟

– ان العلاقة بين موتها وتصرفاتك تحيرني !

واصابني مرة اخرى ، ولكنه كن يصغي إلي ! وخيل إلي انني استطيع ان اقنعه بأنني لست مذنبة . لقد كان هذا كل ما افكر فيه . كنت اريد ان ابرىء نفسي امامه . فقلت :

- لو استقبلت هنا استقبالاً حسناً لتغير كل شيء . ولكن طريقة ساشا ... ودون ان اتحدث عن ماريون . أتراها سعدت بمعرفتي ؟ هل كرهتني من النظرة الاولى ؟ انني لا اعرف شيئاً.

كنت اعيش اللحظات التي ارتميت فيها بين ذراعي ساشا . ووجدت نفسي اعجز من ان اعبر لبيير عن مشاعري نحو جاك وساشا ومورانج : كنت اريد ان اقول له ان هذا المكان لا يوحي لي إلا بالخبث والقلق .

وخانني النطق فلم استطع الا التلفظ بكلمات لا رابط بينها، وبدلاً من ان ابرىء نفسي من التهمة التي اعترفت بها، فقد ازداد اقتناع بيير بها . وقد سمعته يقاطعني بقوله ساخراً :

- تريدين ان تقولي انني لو استقبلتك بباقة من الأزهار لما اصبحت عشيقة ساشا ! انك تسخرين مني !..

وابتعد بيير ببطء ولم افعل شيئاً لمنعه .

الفصل العاشر

كنت في اسوأ حال . اترى بيير يعتبر انني مسؤولة عن تصرفاتي ؟ وهل انا كذلك ؟ كنت اشعر كأن مؤامرة قد دبرت ضدي ، ولكن لماذا ؟ وانتابتني فكرة مجنونة ... اتراهم يريدون تحميلي مسؤولية مقتل ماريون ؟ أهذا اذن كانت ماريون تحس بالرعب طوال السهرة ؟

ولكن جاك ... هل هو معهم ؟ ولكن كيف عرف قصتي مع جوليان ؟ وهل أخبرته

قالي ؟ ثم لماذا كانوا يريدون قتل ماريون ؟ لا شك ان الأب قد أوصى بكل ثروته لزوجته ، أو هكذا خيل إليهم .

كان علي ان اعود الى المنزل الآن . ولم اعد احس بالخوف بعد ان خيل الي انني اكتشفت الحقيقة وأمطت اللثام عن السر الذي يحيط بي وتجنبت الفخ الذي نصب لي . وهكذا عدت الى حيث كانت الجثة ، ورأيت انها قد اختفت . وانتابتني نوبة من الضحك . لقد أرادوا ان أصاب بالجنون فأخفوا الجثة لكي اظن ان كل ما رأيته كان وهماً .

كانت الاسئلة تترى في خاطري حين سمعت صوتاً يناديني :

ـ آن !... آن !...

وكان الصوت صوت جاك . واتجهت الى مصدره ، ورأيت ساشا وجاك والاضطراب باد عليهما ، وهما يبحثان عن شيء ما . وسأل ساشا أخاه :

ـ اين يمكن ان تكون ؟

ـ لقد فتشنا كل مكان دون جدوى . أتراها ...

ـ ماذا ؟

ـ كلا ... لا بأس .

وقلت :

ـ انني هنا .

وسألني ساشا بسرعة :

ـ هل كنت في الغابة ؟

ـ أجل .

ونظر كل منهما الى الآخر بدهشة ، ثم اقترب جاك مني وقال بصوت منخفض :

لقد نقلنا ماريون الى المنزل لكي تنظف سفرين وجهها من آثار الدماء .

ـ وهل سمح لكما بيير بذلك ؟

ـ طبعاً . لماذا تسألين هذا السؤال ؟

وانسحب ساشا معتذراً فقلت لجاك :

ـ من الذي قتلها ؟ اخبرني بربك ...

ـ انني لا أدري ...

وساد الصمت قليلاً ، وعندما غاب ساشا عن انظارنا ، قلت بشك :

ـ لا شك انه كان لماريون عشيق . . . هذا هو التفسير الوحيد .

وهز جاك كتفيه وهو يقول :

ـ لم يكن لماريون عشيق . انك مخطئة .

وأحسست بنفاد الصبر فجأة فقلت :

ـ اريد الذهاب يا جاك . . . حالاً . ارجوك عد بي الى باريس .

كنت قد اقتربت منه ، فأخذ يداعب شعري بيده :

ـ حسناً يا عزيزتي . سوف اخبر بيير ، وسوف نستطيع الذهاب حالاً .

- كلا . لا تقل له شيئاً . انه لن يتركنا نرحل .

- لمـــاذا ؟

- انه يريدنا ان نبقى هنا . انا اعرف ذلك ، فلا تقل له .

- ان أحداً لا يستطيع منعي من الذهاب بك من هـــذا المكان . ألا تثقين بي ؟

وتطلعت إليـــه ، فابتسم ، وأزالت ابتسامته مخاوفي . وأردف جاك يقول :

- هيئي حقيبتك . سوف ابحث عن بيير . اين هو ؟

- في الغابة مع كلبه .

وذهب جاك وهو يرسل لي قبـــلة في الهواء . واخذت أتساءل عن السبب الذي يدفع جاك الى الاصرار على إعلام بيير برحيلنا ، ثم عن السبب الذي يدفع بيير لاتاحـــة الفرصة لنا للهرب بتنزهه في الغابة .

وعدت الى المنزل . كنت اصعد الدرج حين تنبهت الى ان هناك شخصاً في الصالة . وتلفت لأجد ساشا مستلق على أريكة كبيرة . واقتربت منه وقلت :

- لقد جئت اودعك .

- هذا لطف منك .

وتذكرت ما حدث في الليلة الماضية ، فقلت :

- انني اشكرك على كل ما فعلته من اجلي .

وبدت عليه الدهشة ثم أدار عينيه . كنت مضطرة للتحدث إليه ورؤيته لأنني سأصبح زوجة جاك ، وكان علي ان أضع منذ

الآن رسماً لعلاقتي المقبلة به . وسخرت من ظنـــه انني معتادة على مثل تصرفي معه ، فقلت بجد :

- لقد كنت رفيقاً ممتعاً .

وأجاب وهو يطفىء سيجارته :

- اذن انني سمعت هذا الكلام من قبل .

أتراه يريد ان يذكرني بما حدث ؟ لقد اخطأ الهدف عـلى كل حال :

- هذا هو الواقع يا ساشا .

وأدركت انني حققت انتصاراً عليه وعرفت انه لم يعد هناك ما أخشاه اذا لقيته بعد الآن . سوف أنسى بسرعة انني قد استسلمت له ذات يوم . وقلت دون تفكير :

- قل لي يا ساشا . هل يمثل المال بنظرك شيئاً عظيماً ؟

- أجل !... طبعاً !

- هل تفعل كل شيء في سبيل الحصول عليه ؟

- الى اين تريدين الوصول ؟

- أجبني على سؤالي اولاً .

- هل هو مبلغ كبير ؟

- أجل ... مبلغ كبير !

- اعتقد انني افعل كل شيء . ولكن كل شيء عبارة مطاطة . ولذلك فانني اقول ذلك مع بعض التحفظ .

وفجأة تغيرت ملامحه ووقف ثم أشار باصبعه قائلاً :

ـ انك لا تذهبين الى حد تصور انني ...

ـ ماذا ؟

وقال بجفاف :

ـ لا شيء ... سفر سعيد !

وعاد الى استلقائه ، في حين ذهبت الى غرفتي . وأعاد اضطراب ساشا إلي اضطرابي ، وعادت الأسئلة تلح علي . وحاولت أن اشغل نفسي بتهيئة حقيبتي وكنت أجد نفسي أقول بصوت عال : « يجب ان اضع الملابس في مكانها ... والأحذية كذلك . . المهم ألا افكر في أي شيء . »

ولكنني كنت أعود لأسئلتي . وهكذا ألقيت ثيابي في الحقيبة دون تفكير ، ثم تمددت فوق السرير :

من هو البريء فيهم ؟ بيير ؟ ساشا ؟ جاك ؟ سفرين ؟ ولكنني نسيت شخصاً ، شخصاً لم أعطه أي دور . انه السيد باردوليه . انه مريض ... حسناً ، ولكن ...

هل هو مريض حقاً ؟

وأخذت افكر بصوت عال :

ـ يجب ان افعل شيئاً ما ...

وذهبت الى المغسلة وشربت قليلاً من الماء ، ثم تطلعت الى نفسي في المرآة ... وأحسست بالخوف . كنت شاحبة تبلل

وجهي قطرات من العرق ، وهالة سوداء تحيط بعيني . كنت كالمجنونة .

« دعي هذه الفكرة يا آن ... قبل ان يفوت الأوان ! » .

« كلا . يجب ان أذهب الى ابعد مدى فقد اجد شيئاً وراء هذه الأسرار » .

« ولكنك قد تجدين شيئاً مرعباً ! »

وخرجت من غرفتي وأمسكت مقبض باب غرفة السيد باردوليه . كنت استطيع التراجع ، قبل ان اندم على شيء... ولكنني قلت لنفسي : « مهما يكن من امر ، فان اكتشافي لن يزيد حالتي سوءاً عما هي عليه الآن .



أغلقت الباب ورائي . كان الظلام حالكاً، فاصطدمت بكرسي . وخفت أن يعلو الصوت وأن يضاء النور بعد هذه الضجة ولكن شيئاً من هذا لم يحدث . وصرخت منادية :

ـ سيد باردوليه !...

لا شك انه نائم لأنه لم يرد علي . ولكن لماذا لم يستيقظ ؟

ورأيت ، بعد ان اعتادت عيناي على الظلمة

أن الستائر مقفلة ، وأردت ان اتأكد من وجوده ففتحت النافذة واستدرت لأتجمد برعب : رأيته على بعد خطوات يجلس على كرسي هزاز يتطلع إلي بامعان . كان نحيلاً جداً . ويداه فوق ذراعي الكرسي لا تتحركان . وأثر في وجهه الذي يشبه وجه بيير . كان شعره ابيض ووجهه شاحباً ، واللعاب يسيل من فمه المفتوح . كان كل ما فيه ميت باستثناء عينيه . وأدركت انه مشلول تماماً ، واحسست بالرغبة في الهرب ، ولكن الباب فتح وبدت سفرين التي قالت بغضب :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟

ـ متى حدث ذلك له ؟

ـ الحادث ؟ منذ ثلاثة اشهر . لقد أصيب عندما اصطدمت سيارته بشاحنة ، وقد أصيب العمود الفقري .

ـ هل كان بمفرده ؟

ـ أجـل .

ـ وماريون ؟

ـ كانت في باريس بالطبع .

ـ ولماذا بالطبع ؟ ألم تكن دائماً مع زوجها ؟

ولم تجب الخادم العجوز ، فقلت :

ـ أرجوك يا سفرين ... ساعديني ! ساعدي نفسك !

وطفقت اتوسل اليهـا دون جدوى ، واخيراً قالت بعد تردد طويل :

- حسناً .. انني انا ..

- أنت ماذا !

- أنا التي قتلت ماريون .

- انك كاذبة !

- لقد أرادت ان تترك زوجها ... يا إلهي ! ماذا قلت؟

وشحب وجه سفرين ، وتبعت بعيني نظراتها فرأيت السيد باردوليه يبكي بصمت . كان المشهد مؤثراً جـــداً ... لقد علم بمقتل زوجته . وصاحت بي سفرين ان اخرج ، فأسرعت الى الباب وهربت كالمجرمة .

وعاد جاك بعد قليل ليجدني منهوكة القوى محطمة النفس فقال لي :

- هل أنت مريضة ؟

- كلا .. انني متعبة . لقد رأيت والدك !.

- آه !.. وهل أصبت بصدمة؟ كنت انوي اخبارك بالأمر..

- وقد قالت سفرين انهـــا هي التي قتلت ماريون لتمنعها من الذهاب .

- هذا محال . هل قالت لك ذلك بنفسها ؟

- أجل منذ برهة . ولكنني لا اصدقها . اعتقد انها تحاول حماية شخص آخر .

- معقول .

- هل رأيت بيير ؟

- كلا . لقد بحثت عنه دون جدوى .

- أريد الذهاب الآن .

- اصغي إلي يا آن . انني لا اريدك ان تعتبريني طفـــلاً صغيراً لا يستطيع أي عمل دون إذن من اخيه الكبير . ولكن علي ان اخبره في مثل هذا الوضع ، وقد اعود الى هنا اذا رأى ان هذا ضروري .. انني لا اعرف لماذا يخفي سر مقتل ماريون ، ولكنني اثق به وانا لا اريد أن اخونه .

وأحسست بالظلام يكتنف الغرفة فجأة ، ولم استطع إدراك ما حدث ، ولكن جاك قال مفسراً :

- ستهب العاصفة بعد قليل .

وانتابني شعور غريب وخيل إلي انني لن استطيع مفارقة مورانج طوال حياتي . والعاصفة !.. انها تخيفني منذ ان مات جوليان.

من الذي يجلس الآن بقربي؟ أهو جاك أم جوليان؟ وبصعوبة استطعت ادراك الأمر .. انه جاك بالطبع ، ولكن هل انا متأكدة

وأحسست بارهاق فظيع .. لم اكن أبغي اي شيء إلا ان انام وأنسى كل شيء . واستلقيت على الأريكة وغبت في نوم تقطعه الاحلام المزعجة . واستيقظت بعد قليل على نباح كلب . وسمعت صوت جاك :

- لقد عاد بيير .. هيا ، استيقظي يا عزيزتي .

وأفقت متعجبة ثم تناولت قرصاً من الاسبرين واتجهت الى النافذة . كانت السماء صافية ، وبدا ان العاصفة قد ابتعدت . ولمحت ساشا برفقة بيير . واضطربت لهذا دون ان اعرف السبب . واقترب جاك من آن ثم راح مع بيير الى الغابة ، في حين أتى ساشا إلي وقدم لي زهرة من التوليب على طريقة فرسان القرون الوسطى ، ثم قال :

– ياصديقي . هل تودّين القيام بنزهة معي ؟

– أخشى ألا يكون لدي الوقت لتلبية طلبك .

– بلى . ان أخوي يتحدثان حديثاً جدياً، وقد طلبا مني ان أسليك. تعالي معي يا عزيزتي، واؤكد لك انك لن تكوني حزينة.

ترى ماذا يعني؟ وتطلعت إليه متسائلة ، فقال :

– صدقيني ، انني لا أميل للمزاح !

قال هذا بلهجة وقورة . وطفقت أتطلع من النافذة الى حيث كان جاك يصغي الى حديث بيير ، ويداه خلف ظهره . ولا ادري لماذا أحسست انه في خطر ! لقد خيل إلي انني أراه للمرة الأخيرة . ولكنني كنت اشعر ، في الوقت نفسه ، انني لا استطيع مساعدته ، وانقاذه من الخطر .

وارتديت معطفاً وغادرت المنزل مع ساشا بصمت . وسرنا مبتعدين عن المنزل ، فقال ساشا :

– لقد انتهت العاصفة بسلام .

هنا لكي تقول لي هذا .

ن اغازلك

بجم :

بماذا تنتظر مني بالضبط ؟

وتابع ساشا سيره دون ان يرد ، وسرت وراءه . وتوغلنا في الغابة . وفجأة قال ساشا :

– لماذا لم تحاولي صدي تلك الليلة يا آن ؟

وقررت ان ارد عليه بصراحة لكي انتهي من الامر بسرعة :

– كنت مضطربة متضايقة . وقد شربت قليلاً . وقد تصرف معي جاك بسببك تصرفاً لا استحق

– هل تحبينه

– طبعاً .

– انت تحبينه طبعاً . . . وانا ايضاً

– هل تشعرين بتأنيب الضمير يخيل الي انها نوبة تأتيك من آن لآخر.

– انني اعلق اهمية كبرى على الشعور الحقيقي الذي تكننيه فعلاً لأخي !

– ولماذا «الحقيقي» ؟ هل تعتقد انني غير جديرة بأن اعرف ما اشعر به

كنت احس انه يريد ان يعطيني درساً . وبدا على سيمائه انه «موم حزين» ولم يكن هذا يناسبه . وقال بعد صمت قصير ملبد:

- تمر بالانسان احياناً لحظات يشعر فيها وكأنه يسير في ظلام مخترقاً حجب الضباب . . .

– أظن انني كنت في مثل هذه اللحظات بالامس . اما اليوم ، فتأكد انني اعي تماماً حقيقة مشاعري واعرف جيداً ما افكر فيه.

– وهو ؟

– انك تضجرني ! تكلم بصراحة او اتركك واعود !

وبدا عليه التردد ، تطلع إلي بسرعة وخفية ، فقلت له بإلحاح :

– يبدو انك تريد السخرية مني ! . . .

وصرخ ساشا فجأة ثم قال :

– كلا ! كل ما اريد ان اعرفه هو ما اذا كان باستطاعتك إسعاد اخي جاك .

واجبته بعد انتظار قصير ، وبسخرية لاذعة :

– نعم ، بكل تأكيد !

وقال مكرراً :

– بكل تأكيد !

واردف بعد صمت لم يطل و كأنه ادرك معنى كلماتي بعد جهد :

– اعتقد ان مركزك الاجتماعي وثروتك لا يسمحان بإتمام ما تعتزميه ، زواجكما لا يمكن ان يتم !

واحسست بغضب طاغ وصرخت في وجهه قائلة :

– كيف تجرؤ . . .

وتوقفت فجأة عن متابعة كلامي ، ثم اخذت احلل كلماته. وفي غمرة اضطرابي جلست فوق العشب الاخضر ، فتمدد ساشا امامي ، وركبته مطوية ، وتذكرت انني رأيته في مثل هـذا الوضع ، وعادت إلي احداث ليلة الامس ، فأغمضت عيني في ثقة وقد زال عني كل خوف . واقترب ساشا مني دون ان اصده .

• • •

استيقظت اخيراً . كان ساشا يريد ان يقيم بيني وبينه سوراً يشدني به إليه لكي يمنعني من اخبار أخويه فيما اذا كان هو قاتل ماريون.. لقد كان ساشا هو الوحيد الذي ظل مستيقظاً تلك الليلة. وبما ان ماريون كانت عشيقته كما كنت اتصور، فلا شك انه تخلص منها لانها طالبته بشيء ما . والآن ، بدأ ساشا يشعر بالخوف .. الخوف من ان أبوح بما اعرفه، الخوف من ان اكشف أنه القاتل.. واحسست بساشا يتحرك قربي. وابتدرته فور استيقاظه بالسؤال:

– لماذا قتلت ماريون يا ساشا ؟

ونهض ، ثم تطلع إلي في اعجاب وقال ساخراً :

– لأنها كانت تلبس ثوباً بنفسجياً، وانا أخاف من هذا اللون!

– تستطيع ان تفخر بذلك يا ..

– يا للصغيرة الساذجة آن! كيف استطعت الوصول الى هذه النتيجة الرائعة . ان ماريون تعرفني حق المعرفة ، وانا لا أحب ان اشعر بأنني محكوم علي مسبقاً. لقد كان المزاح معها والحديث إليها ضرباً من اضاعة الوقت. كانت تراني كسولاً كذاباً لاموهبة له ، ولم تكن تعترف بانني احسن العزف على البيانو . انني لم اقتل ماريون ، بل قتلت ضميري فيها.

ونهضت ثم صفقت وكأنني أحييه :

– برافو ! عظيم ! والآن وداعاً !

وأدرت له ظهري وسرت على غير هدى ، فلحق بي ساشا وناداني قائلاً :

– رويدك يا آن . لقد كذبت . لقد قتلتُ ماريون من اجل الحصول على المال .

– أي مال؟

– مال والدي ! انه مشلول وايامه معدودات. وقد اكتشفت ان ماريون هي وريثته الوحيدة . انني بحاجة الى المال لكي أقوم بالأسفار التي كنت احلم بها منذ طفولتي. انني لا استطيع احتمال فكرة مجيئي الى هنا كل شهر لأقبض بضع اوراق نقدية من والدي الفاني

– وهل اشترك معك بيير في هذا؟ قل لي، هل اشترك معك في

تنفيذ ذلك قل لي ! ألا تسمعني ؟

وفي هذه اللحظه، دوّى صوت انفجار وأدار ساشا لي ظهره وركض في اتجاه المنزل، فركضت وراءه، ورأيت عن بعد سيارة جاك تشتعل. وحاولت الاقتراب منها، ولكن ساشا منعني ووقف حائلا بيني وبين السيارة، ثم قال :

– لا تقتربي يا آن !

وحاولت التخلص منه ، ولكنه أمسك بي وانا أتخبط . وصرخت فيه :

– لقد قتلته !.. لقد قتلته ايها القاتل !..

وفجأة رأيت بيير قادماً وجثة ماريون على ذراعيه، في حين شدد ساشا قبضته . وأطلقت صرخات متتالية عندئذ، فالتفت ساشا الى الوراء ، وعندها استطعت التخلص منه وتمكنت من الافلات ، وأخذت اركض على غير هدى . وتملكني رعب قاتل وانا أرى بيير يسرع ورائي ويناديني ان اعود :

– ارجعي يا آن !.. ارجعي..

وسمعت وانا راكضة، صوت ساشا يناديني ويحثني ان اتوقف عن الركض. ولكنني تابعت سيري العشوائي وابتعدت الاصوات عني رويداً رويداً ثم سقطت فوق العشب وفقدت الوعي، كما اعتقد . وبعد وقت لا أدري طال أم قصر ، استعدت وعيي على صوت الرعد وصفير العاصفة، وخيل إلي انني اسمع صوت جوليان. وادركت حينئذ ان جوليان قد مات وكذلك جاك ، وتأكدت مما سبق لي ان آمنت به وهو انني أجلب التعاسة والهلاك لمن أحب..



دارت السيارة دورة كاملة ، وعلا صوت الرجل يقول :

– لا تخافي ! انني سائق ماهر !

– اعتقد انني لن اشعر بالخوف بعد الآن .

– انني لا ارجو لك ذلك يا آنسة آن . الخوف هو الاحساس بالحياة . ولكن هل انت واثقة من ان ساشا وبيير كانا يريدان القضاء عليك؟

– هل تشك في هذا ؟

تنفيذ ذلك قل لي! ألا تسمعني؟

وفي هذه اللحظه، دوّى صوت انفجار وأدار ساشا لي ظهره وركض في اتجاه المنزل، فركضت وراءه، ورأيت عن بعد سيارة جاك تشتعل. وحاولت الاقتراب منها، ولكن ساشا منعني ووقف حائلاً بيني وبين السيارة، ثم قال:

- لا تقتربي يا آن!

وحاولت التخلص منه، ولكنه أمسك بي وانا أتخبط. وصرخت فيه:

- لقد قتلته!.. لقد قتلته ايها القاتل!..

وفجأة رأيت بيير قادماً وجثة ماريون على ذراعيه، في حين شدد ساشا قبضته. وأطلقت صرخات متتالية عندئذ، فالتفت ساشا الى الوراء، وعندها استطعت التخلص منه وتمكنت من الافلات، وأخذت اركض على غير هدى. وتملكني رعب قاتل وانا أرى بيير يسرع ورائي ويناديني ان اعود:

- ارجعي يا آن!.. ارجعي..

وسمعت وانا راكضة، صوت ساشا يناديني ويحثني ان اتوقف عن الركض. ولكنني تابعت سيري العشوائي وابتعدت الاصوات عني رويداً رويداً ثم سقطت فوق العشب وفقدت الوعي، كما اعتقد. وبعد وقت لا أدري طال أم قصر، استعدت وعيي على صوت الرعد وصفير العاصفة، وخيل إلي انني اسمع صوت جوليان. وادركت حينئذ ان جوليان قد مات وكذلك جاك، وتأكدت مما سبق لي ان آمنت به وهو انني أجلب التعاسة والهلاك لمن أحب..



دارت السيارة دورة كاملة، وعلا صوت الرجل يقول:

- لا تخافي! انني سائق ماهر!

- اعتقد انني لن اشعر بالخوف بعد الآن.

- انني لا ارجو لك ذلك يا آنسة آن. الخوف هو الاحساس بالحياة. ولكن هل انت واثقة من ان ساشا وبيير كانا يريدان القضاء عليك؟

- هل تشك في هذا؟

– لو كان اعتقادك صحيحاً، فلماذا لم يتركك ساشا تندفعين نحو السيارة المشتعلة ؟

كان يتكلم ببطء وبدا لي بوضوح انه أجنبي . فقلت له ، وقد أحسست بوجاهة سؤاله :

– انني اجهل ماذا فعلا بجثة ماريون، وانا نادمة على هروبي. ان تسليم ساشا وبيير للبوليس لن يجلب لي الراحة ولن يخفف من احساسي بالذنب والخطأ .

– أي ذنب وأي خطأ ؟

– لقد تسببت في هلاك الانسانين اللذين أحببتهما !

– ألا تسأليني عن رأيي فيما رويتيه ؟

– ولماذا اسألك ؟

– حقاً ؟ اعتقد انك مصيبة في هـذا ورأسك مليئة بهذه الأفكار ! ولكنني أخالفك تماماً في الرأي . انك غلطانـة ! غلطانة منذ البداية .

– محـال !

– لا بد انك فسرت الامور تفسيراً سيئاً، ولم تحسني تأويل تصرفات جاك . لقد نسبت الى ماريون أشياء لم تكن هي تشعر بها، واعتقدت ان ساشا يحاول خداعك في حين كان هو صادقاً في كل ما قاله. وتلك المرأة العجوز .. سفرين ؟ لقد قلت انك لم تعرفي سبب تغير موقفها منك ... وبيير ؟

– لقد كرهتني منذ النظرة الاولى! وهذا طبيعي لأنني أفسدت عليه خططه. ولكنني لا أجد لهذه المناقشة أي جدوى .

– انا اخالفك ايضاً في هذا يا آنستي .

– ولكنك تقر معي ان تصرفات سكان مورانج غريبة... فكيف تظن انني اسأت الحكم عليهم ؟

– لو ضربنا صفحاً على ما جاء في روايتك من متناقضات، لرأينا غير ما ترين الآن . فعندما مات جوليان نشأ عندك مركب نقص، او شيء من هذا القبيل ، فتغيرت نظرتك الى العالم...

ولم تجد آن شيئاً ترد به .

– لقد مات جوليان نتيجة عدم حذره في الساعة التي حددها القدر . ومدفوعة بطبيعتك وذوقك المريض بالتعاسة فسرت دورك كما تريدين . سوف يأتي الوقت وتفهمين ان هذا الشخص لا يهمك سوى قليلاً .

– اني لا اصدقك.

– انك تبحثين دائماً عن الصعوبة.. أليس كذلك ؟ اصغ إلي جيداً.. لدي شيء أعرضه عليك . اذا استطعت ان ابرهن لك انك اخطأت بتفسيرك بتصرفات عائلة باردوليه فهل تقبلين ان تصدقي ان موت جوليان كان حادثاً .

ولم تجب آن حالاً :

– نعم . .

وسارت السيارة وهو يقول :

– حسناً.. ولكن قبل ان نبحث في عائلة مورانج اريد ان أثبت لك انك لم تحمي جاك أبداً .

وهزت آن كتفيها دون ان ينتبه لها السائق .

- انك تشعرين نحوه بالصداقة دون الشعور بالحب . لقد كان يكفيك لطفه و كنت تنتظرين شيئاً آخر منه .

- لا يوجد شيء آخر في حبي ..

- بلى يوجد. بعد موت جوليان بهذه الطريقة رفضت كل حب طبيعي وقبلت بجاك وخاصة انه لا يطلب منك شيئاً .

- انـه ...

- انك لم تصدقي انك ستصبحين زوجته . لقد قلت « اني لست سوى عابرة بالنسبة لماريون وسوف تنساني حالما أرحل » لو كنت حقيقة تظنين نفسك ستصبحين زوجة جاك لما قلت هذا. ولم تبحثي معه أي مشروع للمستقبل .

- كان لدينا الوقت ..

- ان الانسان يبحث حالاً عن الرجل الذي يحبـه . صدقي « تجربتي الكبيرة » كما يقول الفرنسيون . ان مستقبل جاك لم يكن يهمك لأنك لم تفكري بالارتباط به.

ولم تعترض آن بينما كان الرجل يقود بسرعة وبمهارة . كان يُشعر آن بالقوة لدرجة اجبرتها على الاستماع إليه :

- كان لجاك الفضل بأن يعرّفك على الرجل الذي تحبينه .

- وبالطبع تعرف هذا الرجل ؟

- أخـاه .

- اني لا أحب بيير .

- ومن قال لك ان الأمر يتعلق به وليس بساشا ؟

وسكتت الفتاة على مضض بينما قال الغريب :

- حاولي الآن ، اذا استطعت ، ان تقولي العكس .

- اني لا احبه . ان من الغباء ان تقول هذا .

- لو كنت تسمعين نفسك وأنت تتحدثين عنه لما انكرت هذا لقد وضعت عقبات بينك وبين بيير ؛ انك دائمـاً تبحثين عن المستحيل . ولبيير صفات كثيرة مشتركة مع جوليان .

- انك مصيب . انهما يتشابهان كثيراً. ولكن لا احب بيير.

- انك تخشين ان تجلبي لـه التعاسة . لكني سأخالفك في اعتقادك .

وساد الصمت عدة دقائق في السيارة وتوقف المطر .

- اريد ان اطرح عليك سؤالاً ايضاً. لماذا أردت اعطاء سرك الى بيير بعد ان اصبحت عشيقة ساشا؟ ولما اردت اقناعه انك لست المسؤولة عما حدث وخاصة انك قلت ان هذا كان هدفك الوحيد.

. وماذا في هذا ؟ لم أرد ان يسيء الحكم علي.

- كان الافضل ان تلزمي الصمت .

- لقد كان باستطاعة ساشا اخباره بالأمر . وعلى اي حال فقد كان مسروراً ..

- كان مسروراً لأنه عرف انك لا تحبين جاك ولكنه شعر بالغيرة من ساشا .

- أتعتقد هذا ؟

وتابعت بعد صمت طويل إذ لم يجب على سؤالها :

- حسناً . لقد ربحت . اني احبه .. هذا صحيح . ولكني لن اتراجع عن إخبار البوليس .

- انه بريء .. وساشا ايضاً .
- اذن من الذي قتل ماريون .
- جاك .
- انك تكذب . جاك ؟
- لقد قالت لك ماريون : « انهم جميعاً قساة وأشدهم قسوة ذلك الذي يبدو بريئاً » وقد فهمت ذلك على انه موجه لساشا بينما هو في الحقيقة موجه لجاك .
- ولكن لماذا يفعل هذا بالرغم من هدوئه و ...
- ان الشاب الذي ضربه جاك لم يجده هادئاً .
- ولكن معي... اني لا اصدق .
- نعم اعرف انه كان هادئاً لطيفاً معك ولكن ذلك لأنه كان يبحث عن اثبات وجوده في مكان آخر .
وأشعل الرجل سيجارة وبعد مضي قليل من الوقت قالت آن:
- اني اشعر وكأني في حلم .
- خطأ .. لقد إستيقظت الآن من الحلم .
- اعتقد اني سأصدقك .
كان كلامه البطيء مقنعاً ويوحي بالثقة . وعاد الصمت يخيم في السيارة ثم تساءلت آن :
- كان جاك عشيق ماريون . أليس كذلك ؟
واحنى رأسه ثم قال :
- منذ متى ؟ هذا ما اجهله .. منذ سنوات ... ولكني متأكد ان جاك يحب ماريون حباً عنيفاً لم ... تحبه حباً

حقيقياً . وعندما اخبرته بذلك ثار فشعرت هي بالخوف ، والتجأت الى مورانج . واما جاك فهو مغرور ، وكانت ماريون حبه الاول .
وارتعش صوت الرجل وهو يقول جملته الاخيرة «حبه الأول» أي ذكرى أثارت في نفسه ، واخذت تنظر الى يده التي تحمل السيجارة وتابع حديثه :
- بما ان ماريون لم ترد شيئاً منه قرر جاك ببرود انها ليست لأحد . وقتلها .
وذكرت آن الطريقة التي ضرب بها جاك صاحبه الذي أراد ان يرقص معها . وارتعشت .
ولكن جاك كان منظماً . اراد ان يتخلص من ماريون على ان يكون الحظ بجانبه . الوحيدة التي قد تكون عرفت هي شوين ولكنها تحب جاك كثيراً بقدر ما تكره ماريون . واصبح من الطبيعي ان يأتي جاك بفتاة الى مورانج في اليوم المحدد لقتل ماريون عشيقته . وعندها لن يشك احد في الحقيقة وستنسب التهمة الى احد المتشردين في الغابة او غيره .
- ان هذا .. شيطاني .
- لقد رآك جاك في المكتبة هادئة .. وشعر انك الفتاة التي يحتاجها . وتعرف عليك ، ورافقك كثيراً بلطف ويصبر الى ان دعاك الى احدى عطلات الاسبوع في المورانج ... وصمت ...
شوين وهي تراه ... لتنفي من حب ماريون وحاولت شكرك لأنك انقذتيه من هذا الحب وكانت دائماً

تخشى ان يثأر لأن ماريون تركته . وعندما ذهبت لتصلحي ثوبك ذهب جاك عند ماريون ولكنها رفضت حبه . واخذت تفكر لماذا احضر هذه الفتاة اذا كان ما يزال يحبهـــا ولهذا بدت لك خائفة ولم تستطيعي فهمها .

- آه لو كلمتني بصراحة !

- لم تكن قد وثقت بك . كان جاك الوحيد الذي يستطيع شرح الامر لها، ولهذا ذهبت معه دون ان تعرف نتيجتها المؤسفة وكان في هذا الوقت ساشا عندك دون ان يعرف ما يحدث . وهكذا بدا لك جاك صباح اليوم التالي حنوناً .

- هذا صحيح ! اني اذكر ذلك .

- ولم تدهشك رغبته فى طلب البوليس وقد دهشت للعكس من ساشا وبيير . كما ان سفرين مرت قبلك ولا شك ان ساشا وبيير يعرفان ذلك وسوف تخبرهم سفرين بعد تردد . وبيير هو الذي اراد ان يكلم جاك ولذلك ارسل ساشا ليبتعد بك. ونحن لا نعرف اذا كان هذا حادثاً ام لا . قد يكون فقد امله بماريون او بسبب اكتشاف اخاه للحقيقة .

واخذت آن تبكي واعطاهـــا منديلاً تجفف به دموعها وصرخت فجأة :

- انتظر* اريد العودة سأذهب لرؤية بيير، انه محتاج إلي.. أرجوك

- لقد كنت انتظر هذا منك .. ولكن انظري اين نحن .. لقد عدت عندما انهيت قصتك سوف انتظرك هنا

- خمس دقائق فقط . حتى اذهب الى البيت واعود . اني

اتمنى ان تتعرف الى بيير .

- وانا كذلك .

ونزلت الفتاة ، واندفعت بسرعة نحو المنزل .

وادا [illegible] بيير [illegible] بات قلبها عند هذا التفكير . ورأت النوافذ مضاءة فخف اضطرابها قليلاً واتجهت ببطء نحو المنزل وهي تسمع صوت البيانو .

وتخيلت آن الأخان لا يستطيعان النوم وينتظران جنباً الى جنب نهاية الليل ، وركضت لتفاجىء الجميع ، وشعرت بنفسها للمرة الاولى قوية . ولم تؤثر عليها ذكرى جاك أو جوليان. أليسا اللذين وضعا بيير في طريقها ! ووضعت وجهها على زجاج النافذة.

كان ساشا يعزف على البيانو وقد جلس بيير على كنبة مغمض العينين وقد بدا عليه التعب . وشعرت آن بحبها له ودقت بيدها على الزجاج . وفتح بيير عينيه ، وما ان رآها حتى قفز صائحاً :

- آن !

وتجمد امام عتبة الباب دون ان يجسر على اخذهـــا بين ذراعيه ولكن الفتاة ارتمت على صدره .

- يا عزيزي بيير

- أنت هنا ... لقد فتشت عنك في كل مكان في الغابة . لقد خفت عندما رأيتك تهربين. لقد اعتقدت اننا سنقتلك أليس كذلك؟

قال هذا وهو يضمها بين ذراعيه :

- لماذا ارسلت ساشا يبعدني بدلاً من ان تقول ان جاك هو الذي قتل ماريون ؟

– ولكن كيف عرفت ذلك .

ولخصت آن له قصة عودتها الى موزانج :

– لو لم ألتق بهذا الرجل لما أعرف ماذا حدث لي وماسيحدث.

– أريد ان اشكره .

– انه ينتظرني بالقرب من هنا .

وأخذ بيير يدها بيده واتجها معاً نحومكان السيارة ولكنهما لم يجدا شيئاً . وقالت آن :

– لقد كان هنا .

– ما هو نوع سيارته ؟

– جاكوار . – جاكوار بيضاء .

– وكيف هو مظهره ؟

ودهشت آن من نفسها وهي تقول :

– لا أدري .

وكانت حقاً لاتدري بينما قال بيير ويده على كتفها :

– انه القدر ...

وعاد الاثنان باتجاه المنزل بينما كان النهار قد بدأ .